

توظيف الفقه المالكي في مجال تبليغ الدين لما ينفع الناس

عند الشيخ إبراهيم طنّ جراتاوا مراطي-النيجر

ذ. مهدي الحاج معاذ

أستاذ الفقه وتاريخه بالجامعة الإسلامية - جمهورية النيجر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن من أهم الأمور التي يهتم بها الفقهاء والمفكرون والمصلحون وجميع العاملين في حقل العمل الإسلامي، تبليغ الدين لما ينفع الناس بمختلف السبل التي تيسر هذا التبليغ، ورأيت أنه من المناسب أن أكتب بحثا بعنوان: "توظيف الفقه المالكي في مجال تبليغ الدين لما ينفع الناس عند الشيخ إبراهيم طنّ جراتاوا-مراطي-النيجر"، وذلك إسهاما في إبراز جهود العلماء والفقهاء المسلمين في سبل تبليغ الدين لما ينفع الناس في البلدان الإفريقية، بما فيها جمهورية النيجر محل دراستنا. وكتبت البحث في مقدمة ومدخل ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع وخطة البحث.

المدخل: نبذة عن الشيخ إبراهيم ومنهجه في تبليغ الدين لما ينفع الناس.



المبحث الأول: كتابه "شرح بعض مشكلات مختصر خليل في الفقه المالكي".

المبحث الثاني: تأليفه لكتاب "البحر الفائض من علم الفرائض".

الخاتمة: فيها أهم نتائج البحث.

وأسأل الله التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل إنه ولي التوفيق.

المدخل: نبذة عن الشيخ إبراهيم ومنهجه في تبليغ الدين لما ينفع الناس

هو الشيخ مالم إبراهيم بن موسى الجراتوي المراتوي، عالم نيجري في العلوم المختلفة، فهو مفسر للقرآن الكريم، وفقه مالكي ضليع، ومحدث كبير، كما أنه لغوي ونحوي، وشيخ في الطريقة التجانية.

ولد في بلدية جراتاوا إحدى مناطق إقليم مراتي بالنيجر ونشأ بها، ثم رحل إلى بلاد مختلفة في نيجيريا مثل باظاري وكنو وزاريا وغيرها، وتعلم على مشايخ منهم: والده الشيخ الإمام موسى، والشيخ عبد الله باظاري، والشيخ مالم نايًا الزكزي، والشيخ عثمان بن علي الكنوي القلنسوي وغيرهم، وقد أحاط به التلاميذ والطلاب يدرسون عنده العلوم المختلفة في مدينة مراتي، حيث درس عليه أشهر علماء مراتي في عصره وله مؤلفات منها: البحر الفائض في علم الفرائض، وشرح مشكلات مختصر خليل التي نظمها الشيخ عثمان بن فودي، وشرح قصيدة نور البصر وغيرها¹.

ووصفه أحد معاصريه، وهو الشيخ عبد الرزاق بن أحمد ملعي شيخ زاوية كوس، بقوله: ((فإنه كثير التأليف في الشريعة الإسلامية فقها وعربية وقراءة وتجويدا مع ما يعانيه من متاعب التدريس والإرشاد وكثرة الأمراض))².

توفي في تسعة عشر من ذي القعدة 1434هـ، الموافق 2014/ 09 / 24م في مدينة

1- انظر: تحفة الأحفاد في تاريخ الوالد والأجداد، مهدي الحاج معاذ، ص 140، وما بعده، والتراث القرآني النيجري أعلامه ومخطوطاته عمر مالم أبه، ص 81.

2- تقریظ الشيخ عبد الرزاق لكتاب البحر الفائض، ص 39.

مراطي.

وقد سلك الشيخ إبراهيم منهجا واضح المعالم في تبليغ الدين لما ينفع الناس في دولة النيجر وما جاورها حيث وصل تأثيره في هذا المجال، ويتمثل منهجه في عدة جوانب أهمها ما يلي:

1 الدعوة والوعظ والإرشاد.

2 الخطبة والإمامة في مسجده الجامع.

3 تربية المريدين.

4 التدريس والحلقات العلمية.

5 الفتاوى.

6 التأليف.

ويجتهد في المجالات المشار إليها في تبليغ الدين لما ينفع الناس وحل مشاكلهم الاجتماعية الدينية والدنيوية.

ونركز في هذا البحث على جانب من هذه الجوانب، وهو توظيف الفقه المالكي في تبليغ الدين لما ينفع الناس، لعلاقته الواضحة باهتماماتنا العلمية في الجامعة الإسلامية بالنيجر، وفي مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة.

المبحث الأول: شرح بعض مشكلات مختصر خليل في الفقه المالكي

كان الشيخ إبراهيم بن الإمام موسى طن جراتاوا فقيها من فقهاء المالكية في جمهورية النيجر، واهتم كثيرا في حياته العلمية والدعوية بتبليغ الدين لما ينفع الناس في مدينة مراطي وما جاورها في النيجر وغيرها، وقد سلك في ذلك عدة سبل ونركز في هذا البحث على منهج التوظيف الفقهي في المسائل الفقهية، التي تدخل في



صميم حياة الناس العامة الدينية والدنيوية.

وفي هذا الصدد، قام بتأليف هذا الكتاب الذي هو شرح لبعض مشكلات مختصر الشيخ خليل المالكي المصري، وهذه المشكلات عبارة عن مسائل فقهية عويصة الفهم لدى الطلبة المتفقيين، والذين يهتمون بتدريس الفقه والفتاوى المحلية في هذه البيئة المالكية، وقد نظم الشيخ عثمان بن فودي¹ رحمه الله هذه المشكلات بطريقة الألغاز امتحانا لعقول الطلبة المتفقيين، وذكر ذلك الشيخ إبراهيم في بداية الكتاب بقوله:

«هذه بعض مشكلات مختصر الشيخ خليل خصصها الشيخ عثمان بن فودي نظما تغمده الله بفضله ونفعنا بعلمه آمين، لكن أتى بها بصيغة الامتحان بلا بيان، أنا إبراهيم ابن الإمام موسى طن جراتاوا، الساكن في مرق، مريد الشيخ عثمان القلنسوي الكنوي تفكرت في ذلك بأن أتى ببيان هذه المشكلات بقدر طاقتي، وإن لم أكن أهلا لذلك لينتفع الناس بها، لأنه أتى بها مجملا مبهما وإني سآتي ببيان كل بيت تحته مفصلا موضحا إن شاء الله تعالى بفضله وكرمه²»

واستهل الشيخ عثمان بن فودي نظمه لهذه المسائل المشكلات بقوله:

يقول الشيخ عبيد الله عثمان	المستعين بفضل الله رحمان
باسم رب العلا أبدأت ذا الشأن	أعوذ بالله من شرومن شين
الحمد لله حمدا والصلاة على	محمد خير خلق عمدة الدين
ما من ذوي عقل ورأي أو ذوي أدب	يقول عن معضلات قوم فاسلون
العلم منقول من سنن وفرقان	وليس يمثل في عقل أو ذهن
فاسمع مقالي بلا هزل كأمثال	نظمها استغاثا من ذوي الفطن

1- انظر ترجمته في إنفاق الميسور للشيخ محمد بلو، ص 80 وما بعده.

2- كتاب بعض مشكلات مختصر الشيخ خليل، ص 1.

فهاك في مسائل أستبينها إذا كنت ذا العلم والفهم مع الذهن¹

وهنا تجدر الإشارة إلى أن المسائل التي نظمها الشيخ عثمان وشرحها الشيخ إبراهيم تشمل عدة أبواب في الفقه المالكي، ومن أهمها ما يلي:

- مسائل تتعلق بأحكام الطهارة والوضوء والتميم².

من نماذجها حكم وضوء الجنب للنوم الذي لا يبطل إلا بجماع.

- مسائل تتعلق بأحكام الصلاة

مثل حكم جواز صلاة النوافل في الكعبة لأي جهة دون صلاة الفرض التي تبطل إذا صلاها المصلي على ظهر الكعبة³.

- مسائل الصيام والاعتكاف

ومن نماذج ذلك مسألة بطلان الاعتكاف بكل ما يبطل الصوم، وشروط صحة الصيام، ومفسداته، ووجوب القضاء والكفارة⁴.

- مسائل تتعلق بأحكام النكاح والعدة والميراث

ومن نماذجها العدة التي تسمى عدة الرجال، كمن يتزوج بأربع نسوة فيطلق إحداهن طلاقاً رجعيًا فيلزمه التريص إلى انتهاء عدتها قبل أن يتزوج بأخرى.

- مسائل تتعلق بالمرض يخشى هلاك صاحبه

1- كتاب بعض مشكلات مختصر الشيخ خليل، ص 2.

2- انظر بعض مشكلات مختصر الشيخ خليل، ص 2، ومختصر خليل، تحقيق أحمد جاد، 1/ 23.

3- انظر بعض مشكلات مختصر خليل، ص 3 و 8، ومختصر خليل 1/ 31.

4- بعض مشكلات مختصر خليل، ص 16، ومختصر خليل 1/ 64.

ومن نماذجها مسألة المريض مرضاً مخوفاً عليه الهلاك الذي يخلع زوجته في هذه الحالة، ينفذ خلعها وترثه هي إذا مات في مرضه، دون العكس أي أنه لا يرثها إن ماتت قبله¹.

- مسائل تتعلق بأحكام البيع والشراء

ومن نماذجها حرمة البيع والشراء وجميع المعاملات المالية، من إجارة وتولية وشركة وإقالة وشفعة بعد الأذان الثاني للجمعة، بحيث يفسخ كل من هذه المعاملات إذا وقعت في ذلك الوقت، ومحل الحرمة إذا حصل ذلك ممن تلزمه الجمعة مع غيره ما لم ينقض وضوؤه واحتاج لشراء ماء الوضوء، وإلا جاز له الشراء².

- مسائل تتعلق بجناية القتل

من نماذجها مسألة القاتل العمد الذي يرث مقتوله، وهو لغز يقصد به الصبي والمجنون إذا قتل أحدهما مورثه يرثه، لأن القتل يكون من موانع الإرث إذا حصل من بالغ عاقل، أما الصبي فعمره كالخطأ وكذلك المجنون، فإنهما يرثان مقتولهما³.

المبحث الثاني: تأليفه لكتاب البحر الفاضل من علم الفرائض

هذا هو النموذج الثاني من توظيف الفقه المالكي في مجال تبليغ الدين لما ينفع الناس في دولة النيجر من البلدان الإفريقية، وهو سبيل سلكه الشيخ في هذا الغرض النبيل.

والذي دفع الشيخ إبراهيم إلى تأليف هذا الكتاب حاجة المجتمع إلى علم الفرائض، الذي يحل كثيراً من المشاكل الاجتماعية الناتجة عن نزاعات في تقسيمات التركة بين الرجال والنساء من الوارثين والوارثات، ومشكلة الغزو الفكري الذي يشن على

1- بعض مشكلات مختصر خليل، ص 3 و 10، ومختصر خليل 1/ 112.

2- بعض مشكلات مختصر خليل، ص 7، ومختصر خليل 1/ 46.

3- بعض مشكلات مختصر خليل، ص 17 و 18.

الإسلام وشريعته الغراء واتهامه بهضم حقوق النساء في الميراث وهي كلها شبهات لا تثبت أمام الحقائق التي يقدمها علم الميراث.

وبعد البسملة والحمدلة ذكر المؤلف سبب تأليف الكتاب الذي هو سؤال بعض الإخوة عن أهمية هذا العلم وحاجة المجتمع إليه لعدة أمور سبق ذكر بعضها¹.

ونشير هنا في البحث إلى أهم المسائل والقضايا الميراثية التي تناولها الشيخ في هذا الكتاب مع الإحالة إلى صفحاتها، منها:

- فوائد علم الميراث والفرائض، التي منها اعتباره من أجل العلوم خطراً وأعظمها قدراً وأجراً، ومن العلوم القرآنية والصناعة الربانية، قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾²،

أي يبين الله لكم في ميراث أولادكم بعد موتكم³.

ومن ذلك اجتماع الوصية والدين في قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةِ يَوْصِي بِهَا أَوْ ذَيْنَ﴾⁴ وإنما قدمت الوصية على الدين، والدين مقدم عليها في الشريعة الإسلامية اهتماماً بها وتأكيده الأمر بها لئلا يتهاون بها، وآخر الدين لأن صاحبه يتقاضاه فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه، وتخرج الوصية من الثلث والدين من رأس المال بعد الكفن، وإنما ذكر الوصية والدين نكرتين ليدل على أنهما قد يكونان وقد لا يكونان فدل ذلك على وجوب الوصية⁵.

- ذكر أسباب نزول آيات الميراث ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

1- البحر الفائض من علم الفرائض، ص 2.

2- سورة النساء، الآية 11.

3- البحر الفائض من علم الفرائض، ص 2.

4- سورة النساء، الآية 11.

5- المصدر نفسه، ص 3.



وَالْأَقْرَبُونَ¹ الآية، والمتمثلة في قصة أوس بن ثابت الذي توفي وترك امرأته أم كحة وثلاث بنات وأقام وصيين سويد وعرفجة ولدا عمه فأخذوا المال جميعه فجاءت المرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقالت قصتها فنزلت الآية، وبينت أن الإرث غير مختص بالرجال البالغين، وأوقف النبي صلى الله عليه وسلم التركة حتى نزلت **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**² الآية، فأعطى الزوجة الثمن والبنات الثلثين وابني عمه ما بقي³.

وتقسم التركة على هذا الشكل:

مسألة المرأة من ثمانية لأن فيها الثمن، ومسألة البنات من ثلاثة لأن فيها الثلثين، ورؤس البنات ثلاثة، فاضرب الثلاثة في ثلاثة وقل (جسط) وهي تسعة، واضرب التسعة في ثمانية وقل (حطبع) وهي اثنان وسبعون، وثمانها تسعة وهي للزوجة وثلاثها ثمانية وأربعون للبنات لكل واحدة ستة عشر، وما بقي خمسة عشر لابني عمه لأنهما عاصبان، لكل واحد سبعة ونصف ومنها تصح⁴.

وفي رواية أخرى هذه الآية نزلت في سعد بن الربيع، قتل شهيدا وترك زوجة وابنتين وأخاه أخذ المال كله وقال كما قال أوس، وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: ارجعي لعل الله ينزل الوحي، ولما نزلت الآية دعاه النبي ﷺ وقال له: أعط زوجته الثمن والابنتين الثلثين وخذ ما بقي.

وتقسيم التركة على الشكل الآتي:

مسألة الزوجة من ثمانية، ومسألة ابنتين من ثلاثة، وضربه نوعان الصغير والكبير، والصغير اضرب الثلاثة في ثمانية وقل (جحدك) وهي أربعة وعشرون، وثمانها ثلاثة وثلاثها ستة عشر، لكل واحدة من ابنتيه ثمانية، وما بقي لأخيه وهو

1- سورة النساء، الآية: 7.

2- سورة النساء، الآية: 11.

3- البحر الفاضل من علم الفرائض، ص 4، وانظر: أسباب نزول القرآن، الواحدي، ص 50.

4- البحر الفاضل، ص 5.

عاصب وهو خمسة¹.

وعلى هذا الشكل أورد كثيرا من مسائل الفرائض منها ما يلي:

- مسألة ميراث الأخ لأم وجدتين وستة عشر أشقاء².

- مسألة ميراث الجدتين وعشرين ابنا³.

- مسألة ميراث الجدة وأحوالها⁴.

- مسألة أم الأرامل وتسمى الدينارية الصغرى، وهي كلها نساء يأخذن المال كله، ولكل واحدة واحد⁵.

- أصول المسائل التي تنشأ عنها مسائل الفرائض⁶.

- مسألة الجد مع الإخوة، وأموال الجد الخمسة⁷.

- مسألة ميراث جدتين وأربع زوجات وخمس أخوات لأم وسبع شقيقات أو لأب⁸.

- مسألة ميراث خمسة إخوة شقائق وثلاثة إخوة لأم وجدتين⁹.

- مسألة الحجب في الميراث.

1- البحر الفاض من علم الفرائض، ص 5.

2- المصدر نفسه، ص 11

3- المصدر نفسه، ص 12.

4- المصدر نفسه، ص 12 - 13، وانظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ابن عبد البر، 5/303.

5- المصدر نفسه، ص 13.

6- المصدر نفسه، ص 14.

7- المصدر نفسه، ص 15، وص 23. وانظر: نيل الأوطار، الشوكاني، 6/118.

8- المصدر نفسه، ص 16.

9- المصدر نفسه، ص 17.



- مسألة الفريضة المشتركة¹.

- مسألة ميراث الخنثى².

- مسائل الوصية في الميراث³.

- مسألة في الغراويين⁴.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث الموسوم بـ(توظيف الفقه المالكي في مجال تبليغ الدين لما ينفع الناس عند الشيخ إبراهيم طن جراتاوا مراطي-النيجر)، توصلت إلى نتائج من أهمها ما يلي:

- 1- إن العلماء والفقهاء اهتموا بتبليغ الدين لما ينفع الناس في البلدان الإفريقية، والتي من بينها جمهورية النيجر بيئة الشيخ موضوع البحث.
- 2- إن الشيخ الإمام بن موسى عالم كبير في العلوم المتعددة، فهو مفسر للقرآن، وفقه مالكي ضليع، ومحدث كبير، كما أنه لغوي ونحوي، وشيخ في الطريقة التجانية.
- 3- سلك الشيخ إبراهيم منهجا واضح المعالم في تبليغ الدين لما ينفع الناس، يتمثل في الدعوة والوعظ والإرشاد، والخطبة والإمامة وتربية المريدين، والتدريس والحلقات العلمية والفتاوى والتأليف.
- 4- ركز الشيخ على توظيف الفقه المالكي كوسيلة مهمة من وسائل تبليغ الدين لما

1- المصدر نفسه، ص 21، وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، 10/17.

2- البحر الفاضل، ص 24، وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، 63/3.

3- المصدر نفسه، ص 28 وما بعدها.

4- المصدر نفسه، ص 33. وانظر: الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، 10420.

ينفع الناس في حل مشاكلهم الاجتماعية الدينية والدنيوية.

5 - أثرت دعوة الشيخ ومنهجه في تبليغ الدين لما ينفع الناس في مناطق كثيرة في دولة النيجر وبعض الدول المجاورة.

6- ركزنا في البحث على توظيف الفقه المالكي في هذا المجال، لعلاقته الواضحة باهتماماتنا العلمية والفقهية في الجامعة الإسلامية بالنيجر، وفي مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية الإمام ورش عن نافع.
- أسباب نزول القرآن، الواحدي، نسخة إلكترونية، موقع الوراق.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ابن عبد البر.
- إنفاق الميسور للشيخ محمد بلو، طبعة القاهرة، مصر 1964م.
- تاريخ ولادة ووفاة شيخ الإسلام الحاج إبراهيم الكولخي، للشيخ إبراهيم طن جراتاوا، طبعة محلية بخط مغربي نيجري.
- التراث القرآني النيجري: أعلامه ومخطوطاته، تأليف أبي الخير عمر بن الماهر مالم أبه المرابطي، منشورات الاتحاد النيجري لحفاظ القرآن الكريم، 2020م.
- الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، طبعة دار الفكر، سورية، دمشق ط: 4.
- كتاب البحر الفائض من علم الفرائض، للشيخ إبراهيم بن الإمام موسى طن جراتاوا، طبعة محلية بصورة المؤلف وبتقريظ الخليفة الشيخ محمد الثاني بن

الشيخ عثمان القلنسوي الكنوي.

- كتاب بعض مشكلات مختصر الشيخ خليل، خصصها الشيخ عثمان بن فودي نظماً بشرح الشيخ إبراهيم ابن الإمام موسى طن جراتاوا الساكن في مراق، طبعة محلية بخط مغربي نيجري، بتقريظ الشيخ الإمام محمد التاسع.

- متن الرحبية، لأبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن الرحبي، المتوفى سنة 577 هـ، طبعة 1406 هـ، دار المطبوعات الحديثة.

- مختصر خليل بن إسحاق، تحقيق: أحمد جاد، ط: 1، دار الحديث، القاهرة 1426/2005 م.

- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، ط: 1، دار الصفوة، مصر.

- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، إدارة الطباعة المنيرية.



